

سؤال الثقافة عند ادغار موران من الاختزال إلى التركيب

*Edgar Morin and the question of culture
from the shorthand to construction*

1 ط د. بلخضر وحيد* 2 إشراف: أد. دراس شهرزاد

1 جامعة وهران 2. (الجزائر) belakhdarwahid@gmail.com

2 جامعة وهران 2. (الجزائر) derras.oran2@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 / 06/05

تاريخ القبول: 2021/05/31

تاريخ الاستلام: 2021/05/13

الملخص:

يعد سؤال الثقافة من الأسئلة المهمة التي باتت تطرح اليوم بإلحاح على الفلاسفة والمفكرين، لما كان لها من تأثير كبير على تغيير الواقع الحضاري والاجتماعي لإنسان هذا العصر، خصوصاً في ظل تنامي ظاهرة العولمة وتعاضل مركزية النموذج الحضاري الغربي، التي ساهمت أكثر في تأزم البنية العامة للثقافة، وفي تعميق الفراغ الروحي للإنسان، وتعميم انتشار الأمراض الاجتماعية والمشاكل الأخلاقية فوق هذه الكينونة، وأمام هذا الوضع المتأزم للثقافة يقترح الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي ادغار موران جملة من الإصلاحات التي تستهدف تعديل النظرية الثقافية وتجديدها، وفق حاجيات الإنسان ومتطلباته الأخلاقية والروحية بما يحفظ كرامته، ويبعث فيه روح الأمل من جديد، بعدما اقترب من تمام فقدانه.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الاختزال، الفصل، الوصل، الانفتاح، الأخلاق، التركيب

Abstract ;

Culture's question it became on of the important questions posed by philosophers and thinkers, wich its has the greatest influence on the civilization and society of human being in this epoch, specifically in the evolution of globalization and the development of ouest countries. This is was contributed to the crisis of the global construction of culture. and it caused spiritual vacuum for human beings, social diseases, values problems in this existentialism. The philosefer sociologist edgar Morin posed many reforms to his crisis in order to renovate theory culture through human values needs and spiritual, preserving his dignity and restroth the spirit of hope.

Key words; Culture , chapter, record, openness ,values, construction.

*المؤلف المرسل

1- مقدمة

تعد فلسفة ادغار موران واحدة من أهم الفلسفات التي ذاع صيتها في الفترة المعاصرة، وذلك راجع إلى نسقها الشمولي وطبيعتها الانفتاحية التي لم تترك جانباً من جوانب الفكر والفلسفة إلا وتطرقت له، ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هذه الفلسفة قد قامت على أنقاض المذاهب والمناهج الحداثية التي أعلنت من قبل عن انتصار العقل والعلم، وحملت على عاتقها مهمة تغيير الأسس الاستمولوجية للفكر

الكلاسيكي، وهو ما تجلّى بوضوح في إعلانها عن ميلاد منظومة جديدة للفكر، عُرفت لدى ادغار موران بمنظومة التعقيد والفكر المركب، ولم يحصر هذا الأخير منظومة التعقيد في بعد واحد من أبعاد الفكر، بل إنه جعلها شاملة لجميع مجالات الفكر وأبعاده دون استثناء، نذكر من بينها البعد الثقافي الذي كان شاهداً على مَرّ التاريخ على اهتمام بالغ من قبل المفكرين والفلاسفة والكُتّاب، وقد اهتدى ادغار موران إلى ضرورة اخضاع الثقافة للزعة التركيبية بعد أن شهد النسيج الثقافي بصفة عامة مجموعة من التوترات والانقسامات العديدة، الناجمة عن انتشار براديغم الفصل والتبسيط واستحواده على الثقافة، ليكون نموذج التركيب والوصل بين الأشكال الثقافية المتنوعة بديلاً عن هذا البراديغم، وسبباً لتجديد مقولة الثقافة وإصلاحها بهدف استرجاع دورها الريادي، وسنمضي في معالجتنا لهذه المسألة إلى محاولة اثراء موضوع الثقافة، من خلال الاجابة على الأسئلة التالية:

ما هو المعنى الذي حملته الثقافة عند ادغار موران؟ وفيما تجسدت أهم العوائق التي عرقلت تطور بنية الثقافة وتسببت في تأزمها؟ وكيف تمكّن ادغار موران من تطبيق النموذج التركيبي على الثقافة؟

2- مفهوم الثقافة

2-1 المدلول العام للثقافة

يعود ظهور مصطلح الثقافة إلى مرجعيات وظروف داخلية وخارجية مسّت المجتمعات الأوروبية، ودفعت بمفكرها وفلاسفتها إلى ضرورة اصطلاح هذا الوافد الجديد، ولأن تلك الظروف كانت متنوعة ومتعددة فإن الأهم من بينها يرجع أساساً إلى "المشكلة المركبة والمرهقة التي تبلورت مع سيطرت العلمانية المادية على المجتمعات الأوروبية، وتسببها في الابتعاد عن الأفكار المسيحية وفي الانتشار الكبير لأخلاقيات الملاحدة الجدد التي سموها الأخلاق الطبيعية، وهو الشيء الذي دفع ببعض المفكرين والكتاب إلى البحث عن وسائل تعويضية لهذا الجفاف الروحي، ليفرز هذا البحث عن هذا المفهوم الجديد الذي أُطلق عليه اسم ثقافة "Culture"¹ وعليه فإن الأصل في ظهور فكرة الثقافة هو انقراض الإنسان الأوربي من مشكلات المدّ العلماني الذي عمل على نشر القيم المادية وفرضها على جميع مناحي الحياة، في مقابل القضاء على القيم الروحية والإنسانية التي اكتسبها من الدين، بعد الانتصار الكبير للعلمانية على الكنيسة آنذاك.

يعرف مصطلح الثقافة صعوبة كبيرة في الوقوف له على تعريف جامع مانع، كغيره من المصطلحات والمفاهيم التي يغلب عليها الطابع العمومي والحيوي، والتي يتشعب ويتسع مجال دراستها ليشمل أغلب الدراسات الإنسانية والاجتماعية، حيث تعددت المدلولات الخاصة بها واختلفت من فيلسوف إلى آخر، وقد صرح الكاتب البريطاني تيري ايغلتن في كتابه "فكرة الثقافة" بأن كلمة ثقافة تعتبر من بين "الكلمات الأكثر تعقيداً في اللغة الإنجليزية، والمقصود بها إيتومولوجياً، أي من حيث أصل ومعنى وتاريخ الكلمات، هي مفهوم مشتق من الطبيعة. ونذكر أن أحد معانيها الأصلية قديماً هو الزراعة أو العناية بالنماء

الطبيعي"² وإذا عدنا إلى الاشتقاق اللغوي الخاص بالثقافة فسنجد أن " كلمة Coulter (سكين المحراث) هي الكلمة القرينة لكلمة ثقافة Culture وتعني " شفرة المحراث " ونحن نشق الكلمة للدلالة على أسمى وأرفع الأنشطة البشرية في مجالات العمل والزراعة والحراثة والحصاد"³، أي أن الثقافة في أصلها مشتقة من الزراعة، وبكل ما يرتبط بخدمة الأرض.

وجاء في الموسوعات والمعاجم المختصة بالثقافة أن " أصل الكلمة الفرنسية Culture ينحدر من الكلمة اللاتينية Cultur. وهي الكلمة الرائجة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وقد اشتقت بدورها من الجذر اللاتيني Colere، الذي تفرعت عنه ثلاث دلالات، تحوّلت تبعاً إلى كلمات متميزة هي كلمة: Culte وتدل على العبادة والتقديس؛ وكلمة: Colonus وتفيد اعمار الأرض والاستيطان، ثم كلمة Cultura التي تعني حرث الأرض وزراعتها"⁴ وهذا دفعنا إلى القول بأن مفهوم الثقافة قد عرف تحولاً كبيراً في معناه، حيث حمل معنى العبادة ثم الاستيطان ثم الاهتمام بالأرض وزراعتها، وهذا المعنى الأخير كان الأكثر رواجاً وانتشاراً منذ القرن الثاني عشر إلى غاية القرن السادس عشر، أين ظهر مفهوم آخر للثقافة ارتبط بالإنسان وكيفية تربيته من أجل إنتاج إنسان متكامل نفساً وجسماً وعقلاً من خلال "التربية والتهذيب والتكوين والتعليم، وبصفة عامة عن طريق مجموع المعارف والآداب الإنسانية المتوافرة في عصر ما، والتي تغرس وتنمي في الإنسان صفات وخصائل محمودة"⁵، وهذا التصور بقي سائداً إلى غاية القرن الثامن عشر بل أصبح معمولاً به لدى فلاسفة الأنوار، وتعود أصول هذا المفهوم إلى العهد الروماني حيث كان يُشار إلى المدلول في غياب الدال، أي أنه كان يقدم مضامين الثقافة كما نفهمها اليوم لكن دون تحديد ذلك بمصطلح ثابت، وذلك ما تجلّى في تعريف الخطيب الروماني شيشرون (206-43 ق م) الذي يقول فيه <<إن أي حقل مهما كان خصباً، لا يمكنه أن يُنتج بدون الزراعة، والأمر نفسه بالنسبة للروح دون تعليم...إن العناية بالنفس cultura animi هي الفلسفة: عليها أن تقلع الرذائل وأن تجعل النفوس في وضعية الحصول على البذور، وأن تزرع ما من شأنه أن يُنتج المحاصيل الوافرة عندما يتطوّر>>⁶ وبناءً على هذا التعريف الذي قدمه شيشرون فإن القدامى حتى وإن لم يُدركوا شيئاً اسمه الثقافة إلا أنهم عايشوها بالمعنى، بعد أن انتقلت أفكارهم من الاهتمام بالأرض إلى العناية بالإنسان، وتيقّنهم من أن زراعة العقول وخدمتها أهم من خدمة الأرض وزراعتها، وأن الإنسان بحاجة إلى تنمية ذاته أكثر من الاهتمام بالأرض، لكونه كائن اجتماعي فلا بد أن تكون علاقته مع غيره مبنية على قدر كافٍ من الأخلاق والتربية اللذان يكونان بمثابة القانون الذي ينظم علاقاته ويضبط تصرفاته.

بعد التحول الكبير الذي جعل مصطلح الثقافة يبدووا حالة عادية بعد أن كان مجهولاً من قبل، وبعد التداول الكبير الذي صار يعرفه لفظ الثقافة بشكل غير منقطع من طرف الفلاسفة والمفكرين، أصبح أكبر شيء يؤرق الباحث في معنى الثقافة هو ادراك مضمونها بشكل ثابت ودقيق نظراً لتنوع المجالات والحقول المعرفية التي باتت تتعرض لموضوع الثقافة بشكل مستمر، وبناءً على هذا سنحاول التعرف

على المفهوم الاصطلاحي للثقافة في أكثر من حقل معرفي وقطب فكري من أجل التقرب أكثر من المفهوم الصحيح والشامل للثقافة .

2-2 المدلول الموراني للثقافة

اشتغل ادغار موران على البحث في مدلول الثقافة وماهيتها من أجل إظهار الدور الذي تلعبه اليوم في تكوين الإنسان الراهن، وقد مكّنه بحثه من التوصل إلى أن الثقافة مفهوم معقد وغامض لا يمكن الوقوف فيه على تعريف واحد لها، ذلك لأنها كما يقول: <<كلمة تبدو واحدة، مستقرة، ثابتة، في حين أنها الكلمة الفخ، الجوفاء، المنومة، المغمومة، المزدوجة، الخؤون، انها كلمة أسطورة تزعم أنها تحمل، في ذاتها، خلاصا كبيرا: الحقيقة ، الحكمة، حسن العيش، الحرية، الإبداع>>⁷، فالثقافة بالرغم من أنها تحاول احتواء كل شيء إلا أنها مفهوم زئبقي لا يمكن حصره في مجال معين، وهذا ما نلمسه في جملة التعريفات التي حددها إدغار موران في كتابه "روح الزمان" حيث نجد التعريف السوسولوجي الذي "يسترد الشوائب التي لا تستطيع الفروع الاقتصادية والديموغرافية والسوسولوجية تمثلها ليشتمل على الميدان النفسي، الوجداني والشخصية والحساسية وملحقاتها الاجتماعية"⁸، فهذا التعريف بالرغم من كونه ذو خاصية سوسولوجية ذات تأثير نفسي وجداني في بناء شخصية الأفراد وعلاقاتهم الاجتماعية إلا أن ادغار موران يقَرّ بأن هذا التعريف يضيق ليقصر على الثقافة المثقفة أي أنه يشير إلى جملة التصورات التي تهتم بالإنسانيات الكلاسيكية وما خلفته من إنتاج أدبي وفني وبالتالي فإن الثقافة تقتصر على الطبقة المثقفة دون الطبقة التي تتسم بالجهل لتكون الثقافة مقابلة بذلك للجهل.

أما المفهوم الأنثروبولوجي فنجد ادغار موران يوظّف تعريفين، الأول " تقابل الثقافة فيه الطبيعة وتشمل، إذن كل ما لا يعود إلى التصرف الفطري، وبما أن خاصية الإنسان هي امتلاكه غرائز ضعيفة جداً في برمجتها، فإن الثقافة، أي كل ما يعود منها إلى التنظيم والبنينة والبرمجة الاجتماعية، يختلط، في نهاية المطاف، مع ما هو إنساني بشكل خاص"⁹، وبالتالي فإن الثقافة وفق هذا المفهوم تقتصر على ما أنتجه الإنسان وما اكتسبه من " الوسط العائلي واللغة الأم والثقافة الاجتماعية والكائن الذي لم يعرف الثقافة يظل مجرد برعم من الطبيعة ولا يقدر على التأنسن والتطور من الإنسان المنتصب إلى الإنسان العارف"¹⁰.

أما التعريف الأنثروبولوجي الآخر فإنه يرد الثقافة إلى " كل ما هو مزود بمعنى بدءاً من اللغة، فالثقافة تغطي، بسعة التعريف الأول نفسها، كل الفعاليات الإنسانية، ولكنها تفعل ذلك لتسحب قشدة وجهها الدلالي والعقلي"¹¹، وهذا التعريف أوسع من التعريف السابق لأنه لا يقتصر على الجانب الظاهر والمادي للثقافة فحسب بل إنه يشتمل على كل الفعاليات الإنسانية بما في ذلك اللغة، لتكون اللغة أحد المظاهر الثقافية التي تميز جماعة عن غيرها.

والتعريف الآخر فهو اتنوغرافي حيث أن "معنى اتنوغرافي يقابل الثقافي، فيه، التكنولوجيا ويضم المعتقدات والطقوس والمعايير والقيم ونماذج التصرفات"¹²، بمعنى أنه يعبر عن الثقافة من جانبها

المعنوي كونه يشتمل على المعتقدات والقيم والمعايير التي تضبط سلوك الإنسان داخل الجماعة التي ينتهي إليها.

إن هذه التعريفات الثلاث التي قدمها ادغار موران تبقى في نظره تعريفات ناقصة، لأنها اهتمت بالثقافة من زاوية محددة وأهملت باقي الزوايا التي تشملها الثقافة، لذلك نجده يقترح مفهوماً مغايراً للثقافة يعتبره أكثر تركيباً ويجمع فيه بين الأبعاد السوسولوجية والأنثروبولوجية والفلسفية حيث يقول فيه <<الثقافة تتكون من مجمل العادات، والتقاليد، والممارسات والمهارات والمعارف والقواعد والمعايير والمحرمات، والاستراتيجيات، والمعتقدات والأفكار والقيم والأساطير وتستمر من جيل إلى جيل، ويستعيدها كل فرد، وتولد التعقيد الاجتماعي وتجده. وتجمع الثقافة في داخلها ما هو محفوظ، ومنقول ومكتوب، وتتضمن مبادئ الاكتساب، ومناهج الفعل. فالثقافة هي أول رأس مال إنساني، وبدونها يصبح الكائن البشري من اللبائن الدنيا في آخر السلم>>¹³ وبالتالي فإن المدلول الشامل للثقافة حسبه لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الامام بهذا الزخم المركب والهائل من العناصر المختلفة، ومن تشخيص العلاقات التفاعلية والتأثيرات المتبادلة بين هذه المكونات، وعن طريق ادراك هذا المفهوم المركب فقط يمكن للثقافة أن تحقق أدوارها المنوطة بها، وتكتسب مكانتها الفعلية داخل المجتمعات.

هكذا نفهم من التعريف الموراني للثقافة أن المجتمع يحتل موقعاً مركزياً وأهمية بالغة في ضبط مدلولها، لأنه يُمثل المجال الذي نشأت داخله وتطورت، وبالتالي فإن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به، ذلك أن "الثقافة هي أعظم ابتاق يتصل بالمجتمع البشري، إذ تجمع كل ثقافة في داخلها رأسماليين: رأس مال معرفي وتقني (الممارسات والمعارف والمهارات والقواعد)، ورأس مال ميثولوجي وطقسي (المعتقدات والمعايير والممنوعات والقيم). إنه رأس مال يتصل بالذاكرة والتنظيم كما هو الحال الجيني بالنسبة للفرد"¹⁴، وهذا يقود إلى القول أن الثقافة لم تكن مجرد إنتاج بشري فحسب، بل كانت لها وظائف عدّة فهي تحفظ هوية الشعوب، كما أنها تحمل الآليات التي يمكن بواسطتها تنظيم الحياة الاجتماعية، بل "إن المجتمع البشري يتوالد ذاتياً وينظم نفسه ذاتياً، ويستمر ذاتياً، ويتجدد ذاتياً من خلال أصول الثقافة ومعارفها وأساطيرها ومعاييرها وممنوعاتها التي تعمل على دمج الأفراد اجتماعياً وأيضاً من خلال الضوابط الاجتماعية للأنشطة البيولوجية والوظائف الجنسية"¹⁵.

ويذكر ادغار موران بأن الثقافة هي الأساس الذي استندت عليه المجتمعات عبر التاريخ" فلا وجود لمجتمع بشري، قديم أو حديث بدون ثقافة، لكن مع ذلك فالثقافة تحافظ دوماً على خصوصيتها. صحيح أن كل ثقافة توجد داخل ثقافات متعددة لكنها لا يمكن أن توجد إلا بهذه الثقافات"¹⁶، لأن كل ثقافة توجد في مقابل الثقافات الأخرى وعلى أساس هذا التقابل تكتسب الثقافة وجودها ومكانتها بين الثقافات الأخرى، وبالتالي فإنه لا توجد ثقافة واحدة بل هناك ثقافات متعددة، وهذا التعدد يكشف على وجود خصوصية داخل كل ثقافة، وهذه الخصوصية هي التي تكسب صفة التميز للثقافة ما عن بقية الثقافات الأخرى وهي التي تبني عليها هوية الشعوب وهو ما يؤكد ادغار موران بقوله <<تحافظ الثقافة على الهوية

البشرية وبشكل أدق على الأشياء الأكثر خصوصية فيها، وتحافظ الثقافات على الهويات الاجتماعية في أدق خصوصيتها، وتبدوا الثقافات منغلقة على نفسها لحماية هويتها الفريدة، لكنها في الواقع منفتحة أيضاً: إذ لا تدمج داخلها المعارف والتقنيات فحسب، بل تشمل أيضاً الأفكار والعادات والمأكولات والأفراد الآتين من أماكن أخرى»¹⁷، إنها باختصار تعبر عن الحياة الاجتماعية السائدة في مجتمع من المجتمعات وتعكس كل ما هو سائد داخله من عادات وتقاليد وأساليب في الحياة، إذ "يمكن تصور المنظومة الاجتماعية كمنظومة ثقافية تقابل المنظومة الطبيعية: ويمكن كذلك تصور الثقافة كواقع اقتصادي ، واجتماعي، وايدولوجي... الخ، وربطها على هذا النحو بالأبعاد الاجتماعية الأخرى، فنحن نرى في الوقت نفسه أن الثقافة ليست بنية فوقية، ولا بنية تحتية، بل إنها الدارة الاستقلالية التي تصل البنية التحتية بالبنية الفوقية"¹⁸.

إن الحديث عن ثنائية الثقافة والمجتمع يقودنا حتماً إلى الحديث عن مفهوم آخر وهو الهوية، حيث ارتبطت الهوية بالثقافة ارتباطاً وثيقاً يمنع الحديث عن الثقافة دون استحضارها إلى جانبها، لكونها تعد من بين المقومات الأساسية التي تحدد طبيعة الأفراد وكذلك الانتماء الهوياتي الخاص بالشعوب، وهو ما أكد عليه المؤرخ والفيلسوف البلغاري تزفيتان تودوروف الذي رأى أن هوية الإنسان قرينة بثقافته، حيث قال << إن الكائن البشري كما رأينا، لا يولد في حضن الطبيعة فحسب، وإنما كذلك ودائماً وبالضرورة في حضن ثقافة، إن السمة الأولى للهوية الثقافية الأصلية هي أنها تُفرض أثناء الطفولة بدل أن تكون من اختيار الشخص>>¹⁹ بمعنى أن أول شيء يكتسبه الإنسان هو هويته الثقافية من خلال جملة العادات والتقاليد وأنماط العيش التي تحدد انتمائه الاجتماعي، وتميزه عن غيره من الشعوب والمجتمعات، والإنسان الفاقد لمقومات هويته ما هو إلا إنسان يعيش حالة من الضياع والاعتراب.

3- الأزمة الثقافية من وجهة نظر ادغار موران

1-3 في تعريف الأزمة

شكل القرن العشرين حسب ادغار موران قرن الأزمت بامتياز، لما عرفه من تغيرات مست جميع المجالات، واتخذ مفهوم الأزمة krisis معاني ومدلولات مختلفة حسب السياق والزمن الذي وجد فيه، ففي " المعنى اليوناني الذي يمثل أصل ظهور المفهوم حمل معنى << الفرار>> أي اللحظة الحاسمة التي تتيح خلال تطوّر عمليّة غير مؤكّدة تنفيذ تشخيص. وفي المقابل تحمل اليوم معنى << التردد >> أي اللحظة التي يظهر فيها غياب اليقين بالتزامن مع اضطراب ما"²⁰، وقد صاغه ادغار موران من أجل الكشف عن المستنقع الذي وقع فيه البشر نتيجة الحروب والتلوث والتقدم التقني السريع وتكاثر الأمراض وتغير نمط الحياة على الأرض والتهديد الكبير الذي بدأ يلوح في الأفق القريب للتواجد الإنسي

على الكوكب²¹، وبالتالي فإن المعنى العام للأزمة يوحي بوجود فراغ أو خلل في توازن الحضارة في بعدها المادي والمعنوي.

إن مفهوم الأزمة إذن هو مفهوم بالغ المعنى، وهو أغنى من فكرة الاضطراب والفضوى، بل انه يحمل في ذاته الاضطرابات والفضوى والانحرافات والتضادات، كما يتضمن تداخل وتقاطع وتفاعل العمليات شبه العصبية (سحرية، طقوسية، أسطورية) والعمليات المبتكرة والخلاقة، ويضمن التأثير المتبادل فيما بينها²²، فالأزمة بيجاز كما يذكر ادغار موران تتجلى داخل نظام معطى، متجسد في سمات معينة، نذكر منها: تراجع حتمياته وتزايد شكوكه، الانتقال من الاستمرار إلى عدم الاستمرار، تحول التكاملات إلى تعارضات وتناقضات، اندلاع انحرافات تتحول بسرعة إلى اتجاهات، أي سيوروات تفكيك وإخلال تنظيم داخل النظام القائم²³، وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الأزمة يمثل كيان واسع وثرى من المظاهر والمفاهيم المركبة التي تكشف عن حقيقته وتُظهر الثغرات والفجوات المنبثقة عنه، وقد ساعد على انتشاره أكثر براديجم التبسيط والاختزال الذي تبلور مع المعرفة العلمية، ثم امتد ليشمل باقي مجالات الإنسان الأخلاقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، متسبباً في الوقوف حائلاً دون فهم التعقيد الإنساني²⁴، ومدعماً أكثر تعاضم الأزمة وانتشارها لتصبح أكثر خطراً وأشد تهديداً على الوجود الانساني داخل هذه الكينونة.

2-3 فحوى الأزمة الثقافية

تعد الأزمة الثقافية واحدة من أهم الأزمات التي خصّها ادغار موران بالاهتمام نظراً للتأثير الكبير الذي أحدثته على المستوى الإنساني سواءً اتجاه ذاته أو في اطار علاقته مع الغير، ناهيك عن الانعكاسات المختلفة والمتنوعة التي تسببت في احداثها الأزمة الثقافية على الحضارة الإنسانية بصفة عامة، ويذكر فيلسوفنا بأن الأزمة الثقافية متعددة الأوجه والمظاهر، ومن أهمها الفصل بين الأشكال الثقافية المختلفة، فبدل أن يساهم التعدد الثقافي في اغناء الثقافة العالمية وإثراء رصيدها الفكري، نجده يساهم في تعميق الأزمة الثقافية المعاصرة وتوسيع نطاقها، خصوصاً في ظل "تجاهل السياسات الدولية لأهمية التنوعات الثقافية والوطنية"²⁵، وهو ما يبرئ الأرضية المناسبة لتنامي النزعة الأنانية وتعميم اللاتواصل بين الثقافات والمجتمعات، ويذكر ادغار موران أن الثقافة اليوم توجد في شكل مجزأ ومقسّم، يُشكل فيها كل قسم من هذه الأقسام كيان خاص به يميزه عن غيره من الثقافات، يدفعه إلى الانطواء حول ذاته، ويجعله يختزل الوجود العام للثقافة في كيانه، ويذهب فيلسوفنا إلى اقتراح ثلاث أشكال لهذا التقسيم يساهم كل شكل منها في تشتيت مقولة الثقافة و، وأبرز هذه الثقافات هي: الثقافة الإنسانية، الثقافة العلمية، والثقافة الجماهيرية.

أ-الثقافة الإنسانية

لقد كانت الثقافة الإنسانية شاملة في وجودها لكل الأفكار والمعارف المرتبطة بالإنسان دون استثناء، كما عرفت ازدهاراً كبيراً منذ عصر النهضة إلى غاية القرن الثامن عشر، وقد عرّفها ادغار موران بالقول >> الثقافة الإنسانية كما يشير إسمها هي ثقافة إنسانية مركزية: تحركها الحاجة إلى إنارة الوضع والسلوك البشريين وتهتم بوضع الإنسان في العالم وبالخير والشر والمجتمع>>²⁶، فالمواضيع الأساسية التي قامت عليها الثقافة الإنسانية إذن هي المواضيع التي تمس الإنسان في أبعاده الروحية المتنوعة النابعة من التفكير والتأمل، مثل الأدب والفن والفلسفة والأخلاق والدين، بهدف تنظيم حياة الإنسان في المجتمع وتيسيرها.

إن الثقافة الإنسانية أو الأدبية هي ثقافة تساعدنا على أن نعيش ظرفنا الفائق الوصف، وعلى تحريرنا من الغم، وتجعلنا نرى ما فيها من شمول بشكل أفضل، فهي تنادي بالخطاب الإنساني والرموز اللغوية الأكثر تماماً والأكثر تعبيراً والأكثر تبياناً، وتدعوا الفكر البشري والأحاسيس البشرية إلى ضرورة استغلال الأساليب والقواعد اللغوية ومجموعة الأسلحة الضخمة من الوسائل الذاتية التي نملكها والاعتراف بالتنوع اللامتناهي من أجل أن نعود إلى الحياة²⁷، وبالتالي فالوجود الإنساني مرهون بتواجد هذه الثقافة، لأنه بحاجة إلى وسائط اجتماعية يُعرّف من خلالها بذاته، ويُسمح له عن طريقها الكشف عن كيانه ككائن متميز عن غيره من الكائنات الحية بلغته وتفكيره وفنونه وعواطفه.

كما تتميز الثقافة الإنسانية خلافاً للأشكال الثقافية الأخرى بالربط بين مواضيعها دون تمييز أو إقصاء، حيث يشهد العصر الذهبي لها على ضعف التمايز بين الفلسفة والأدب، ذلك أن كتابة المحاولات وهي جهد في التفكير والاقتراح حول شتى المواضيع كان يشكل الرابط بين الأدب والفلسفة، وهكذا كانت كتابة المحاولات من مونتيني Montaigne (1533-1592) إلى ديدرو Diderot (1713-1784) ومن مكيافيلي Machiavel (1469-1527) إلى فيكو Fico (1668-1744) تغطي جميع المجالات والمشاكل²⁸، وعلى هذا الأساس فقد اعتُبرت الثقافة الإنسانية ثقافة شاملة وجامعة لكل المواضيع دون فصل أو اختزال، وهو ما ساهم بشكل واضح في ظهور أسماء فكرية وفلسفية عديدة تتعاضد داخلها كل المعارف، كديكارث الذي يعتبر فيلسوف وعالم وكاتب في الوقت نفسه.

لكن الثقافة الإنسانية ورغم نسقها الشمولي والتركيبى الذي انبنت عليه إلا أنها لم تعد كافية لفهم العالم والتحكم في متغيراته، بل إننا نجدها عاجزة تمام العجز عن الصمود أمام تيار العلم الجارف الذي قضى على كل الجوانب الذاتية للإنسان، وغَيّر مسار الثقافة من الاتجاه العام إلى الاتجاه الخاص القائم على الكفاءة العلمية، معلناً بذلك عن ميلاد شكل جديد من الأشكال الثقافية المتميز بقطع الصلة مع الثقافات السابقة على غرار الثقافة الإنسانية والمعروف حديثاً بمسمى الثقافة العلمية.

ب- الثقافة العلمية

لقد كان العالم شاهداً على تغيرات كثيرة مست جوانبه المختلفة، منها ما ارتبط بالجانب السياسي ومنها ما ارتبط بالجانب الصناعي أو الاقتصادي، لكن أثر هذه التغيرات على الإنسان لم يكن بالشكل الذي سببته العلوم والتقنيات المعاصرة، إذ أصبح عالم اليوم يشهد على حضور العلوم القائم في كل مكان، وصارت الأنظار تشتد صوب البرامج والأفلام المخصصة للعلوم، بل إننا نجد كل فرد يشعر بأنه معني بها ولو كانت تهاجم الفكر، حتى بدا الجو مشحوناً بها، وباتت المؤتمرات التي كانت تجمع في نهاية القرن الماضي بضع عشرات من الأشخاص تجمع اليوم آلاف المشتركين وتفسح المجال لتلاقي العلماء ومناقشة أعمالهم وعرض بحوثهم²⁹، وقد أسهم هذا الوضع بشكل جلي في تحول نمط المعيشة والحياة اليومية للإنسان الحاضر بعد أن غزى العلم جميع أبعاده وجوانبه وأحدث ثورة ثقافية كللت بتخلي العقل المعاصر عن الثقافة الإنسانية أو الأدبية لصالح الثقافة العلمية والتقنية.

لقد عرفت الثقافة العلمية خلافاً للثقافة الإنسانية توسعاً هائلاً للمعلومات، وذلك راجع بدرجة أولى إلى انحصارها في الاختصاصات وتميزها بأساليب منتظمة كشفت عنها النظريات العلمية والمنطقية المتاحة، والتي يفتقد لها الإنسان العادي ويعجز عن فهمها والإلمام بها، كما كانت الثقافة العلمية بالإضافة لذلك شاهدة على عمليات فصل متعددة كالفصل بين الفلسفة والعلم، والأخلاق والمعرفة، والإنسان والطبيعة، وهي العناصر التي طالما أبانت عن انسجامها وترابطها في الثقافة الإنسانية³⁰، وعليه يمكن الجزم بأن الثقافة التي أنتجتها العلوم والتقنيات المعاصرة قد ألغت كل الأشكال الثقافية التي جاءت قبلها، بل إن العقل الذي تكوّن في كنف هذه الثقافات قد أصبح اليوم عاجزاً عن فهم الواقع كما هو عليه.

إن المعرفة العلمية هي كما تبدوا لنا معرفة دقيقة ومنظمة، لكنها مبنية على تجريد الكائنات والأشياء، وقائمة على الاختزال الذي يفكك الظواهر المعقدة لصالح مكوناتها البسيطة، وقد تم بموجب ذلك تفكيك العالم لصالح المادة، وهو الأمر الذي تبعه فقدان العالم والحياة والإنسان لمعناه³¹، إذ ساهم تطور العلوم المادية القائمة على التجريب في تعاضم الموضوعية وتغيب الذاتية في جوانبها المتنوعة، وتسبب هذا المنطق في عزل فكرة الإنسان وإبعاده عن جل التخصصات بما فيها العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية وهذا ما جعل الثقافة العلمية أمام أزمة حقيقية تقصي من خلالها الثقافة الإنسانية والأدبية وتضع حداً للقيم الحقة كقيم العقل والخير والمثل، ولم يكن الفيلسوف ادغار موران الوحيد الذي عرّج عن هذه الأزمة بل سبقه إلى ذلك عدّة فلاسفة نذكر منهم الفيلسوف الألماني ادmond هوسرل (1859-1938) الذي أكد على ضرورة إخضاع علمية العلوم إلى نقد جذري وضروري جداً رغم الازدهار الذي حققته الثقافة العلمية لأنها أفقدت الإنسان معنى الحياة وهو ما أكده بقوله >> إن العلم الذي يدرس الأجسام المحضة ليس له طبعاً ما يقول، فهو يغض النظر عن كل ما هو ذاتي. أما علوم الروح التي تهتم في كل فروعها الخاصة والعامة بالإنسان في وجوده الروحي، أي في أفق تاريخيته، فإن علميتها

الصارمة تتطلب، كما يقال أن ينحي الباحث بعناية كل مواقف القيمة، كل الأسئلة عن عقل أولاً عقل البشرية التي يجعل منها ومن تشكيلاتها الثقافية تيمة له <<³² فالثقافة العلمية حسب هوسرل ستظل بعيدة كل البعد عن تحقيق غاياتها المثلى في الوجود وعن إدراك الفهم مادامت تسير في اتجاه معاكس تختزل فيه القيم الروحية والخلقية وتتجاهل فيه الأبعاد الإنسانية والأدبية للثقافة وتعزلها عن دائرة المعرفة والحقيقة.

نفهم إذن أن الحديث عن ثقافة مشتركة بين الثقافة العلمية والثقافة الإنسانية هو أمر عبثي يجانب كلياً الصواب، وذلك ما توصل إليه ادغار موران، لأن كلاً منهما يجعل من ثقافته مَرَكزاً يُلغي من خلاله الثقافات الأخرى ويهْمسها، وهو الأمر الذي سيَنْتُج عنه حتماً تعميقٌ في دائرة التمايز والاختلاف والتعارض بينهما، ويُضعف من قيمة كل منهما، ويساهم في تعاضل الأزمّة الثقافية الراهنة وامتداداتها.

ج- الثقافة الجماهيرية

لم تكن الأزمّة الثقافية التي سببها الاعتراض بين الثقافة العلمية والإنسانية لتتوقف عند هذا الحدّ، بل إننا نرى بأن الاضطراب الحاصل بين الثقافتين قد انتقل إلى أشكال أخرى من الثقافات، من بينها ما بات يعرف اليوم بالثقافة الجماهيرية، والتي تقوم هي الأخرى على كم معتبر من الأفكار والمعلومات الخاصة التي تجعلها في غنى عن باقي الثقافات.

يعود ظهور الثقافة الثالثة إلى نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الخمسينيات أين عرفت أوروبا انطلاقة جديدة كانت بشكل خاص اقتصادية، حيث تمكّنت من تأسيس نمط متزايد القوة والانتعاش، ومن تطوير الإعلان الذي أصبح دعاية، كما برزت في تلك الفترة ثقافة حقيقية للاستهلاك بمراجعتها ورموزها وأساطيرها، وقد شكّلت هذه المنظومة الثقافية موضوع دراسة لعدد من المنظرين وعلماء الاجتماع كرولان بارت (1915- 1980)، جان بودريار (1929- 2007)، ادغار موران³³، والذين أثارت مساهماتهم جداً واسعاً تعدى حدود أوروبا وبلغ جميع أرجاء العالم.

ترجع تسمية الثقافة الجماهيرية إلى السوسيولوجيا الأمريكية التي اعترفت بها في البداية، وهي حسب تعريف ادغار موران ثقافة منتجة وفق المعايير الكثيفة للعمل الصناعي ومروجة بتقنيات نشر كثيفة سميت وسائل الاعلام الجماهيرية (السينما، الإذاعة، التلفزيون، الصحافة... الخ) بحيث تكون موجهة إلى جمهرة اجتماعية أي إلى تجمع عملاق من الأفراد، وتقوم على تأليف جسم من الرموز والأساطير والصور المتصلة بالحياة العملية والحياة الخيالية³⁴، إذ يحتل الجمهور داخل هذه الثقافة مكانة مركزية تجعله وفق التعبير الصحيح لادغار موران " مادة اجتماعية أساس " خصوصاً بعد أن أصبحت وسائل الاعلام الجماهيرية بمتناول يده ولهذه الوسائل السلطة المخيفة لتكييف الرأي العام، فالمسرحيات والإذاعات التي تتجاوز الحدود يمكنها أن تبلغ مئات الملايين من المستمعين ومشاهدي التلفزيون في مختلف بلدان العالم³⁵، وبالتالي فإن الثقافة الجماهيرية إذ تقوم على الاستغلال الأمثل للتقنيات المتاحة فهي تساهم بشكل فعال في تزيين الوجه الحالي للثقافة من خلال وصولها إلى جميع الناس وانتشارها

لدى مختلف الشعوب دون اعتبارات جنسية أو عرقية أو دينية، فهي لا تقبل الاحتكار ولا تعترف بالقطع أو الاختزال، بل نجدها تعمل على دعم الانفتاح العقلي والروحي وتوحيد الأفكار والاتجاهات المختلفة من أجل ترسيخ القيم وتنمية الذوق الجمالي وضمان التقارب على المستوى الكوني ككل، وهو ما جعلها في موقع تنافسي مع الأنواع الثقافية الأخرى على غرار الثقافة الإنسانية والعلمية .

لقد اكتسبت الثقافة إذن بفعل وسائل الاعلام الجماهيرية أهمية بالغة لم يسبق للأجيال السابقة أن تصورها، فبينما كان المتميزون بئرائهم يستطيعون الذهاب إلى أكبر الحفلات الموسيقى منذ خمسين عاماً، فإن أهم المؤلفات الموسيقية الشهيرة هي اليوم بمتناول كل فرد، كما أن المعارض وصالات الرسم لم تعرف نجاحاً مثلما تعرف اليوم³⁶، فبعدها كانت الثقافة حكراً على فئة قليلة من الناس فإننا نجد اكتسابها اليوم يُسحب نحو الجميع دون استثناء، وما يقال عن الثقافة يقال أيضاً عن المعرفة التي صار تحصيلها سهل المنال بفعل تطور وتضاعف وسائل الاتصال ووسائط الإعلام.

لكن هذه الأقوال التي تقال في حق الثقافة الجماهيرية تبقى محل نظر، إذ وبالرغم من الانتشار الكثيف والرواج الكبير الذي تشهده الثقافة الجماهيرية الممثلة في التلفزيون والراديو والسينما والصحافة والفن ووسائل التسلية المتنوعة إلا أنها لا تخلوا من عيوب ونقائص خاصة بعد الانتشار الواسع للزعة التجارية وهيمنة العولة، حيث عملت الثقافة الجماهيرية على تشجيع كل أشكال الانتاج والاستهلاك دون قيد أو شرط وقامت بموجب ذلك بتحويل الثقافة إلى سلعة يتم توظيفها في مآرب أخرى بعد أن غزتها الصناعات التقنية، كما احتكرت الثقافة الجماهيرية لوحدها المجال الثقافي وقضت كلياً على الأشكال الثقافية القديمة، وقد سمح هذا الوضع الذي سببته الثقافة الجماهيرية بظهور مواقف متباينة تندد بها وتستنكر مآلاتها، "حيث يميل الموقف اليميني حسب قول ادغار موران إلى اعتبارها تسليات عبيد وبربرية عامية، ويعتبرها الفيلسوف الألماني كارل ماركس (1818- 1883) أفيوناً جديداً للشعوب أو تضليلاً تتعمده الرأسمالية من أجل تحويل انتباه الجماهير عن المسائل الحقيقية"³⁷، وهو الأمر الذي جعل المنظومة الثقافية بصفة عامة أمام فراغ حقيقي لا يسدّه إلا اصلاح الثقافة الجماهيرية .

وسنزداد ايماناً بخطورة الوضع العام للثقافة أكثر إذا أدركنا بأن صانعي الثقافة الجماهيرية ليسوا من المثقفين، بل هم متطفلين على الثقافة وهذا ما أكده ادغار موران بقوله >> فأوائل صانعي الأفلام كانوا جوالين، مهرجانين في الاحتفالات الشعبية. والصحف تطورت خارج دوائر الابداع الأدبي المجيدة، وكان الراديو والتلفزيون ملاذ الصحفيين أو الممثلين الفاشلين. ومن المؤكد أن المثقفين اجتذبوا وجرت دعوتهم تدريجياً إلى صالات التحرير وستوديوهات الاذاعة ومكاتب منتجي الأفلام...ولكن هؤلاء المثقفين مستخدمون من جانب الصناعة الثقافية وهم لا يحققون فيها إلا بالحظ أو بعد معارك منهكة المشروعات التي يحملونها في ذواتهم>>³⁸ بمعنى أن الثقافة الجماهيرية قد قضت كلياً على روح الابداع والابتكار وقتلت الأبعاد الذاتية في الإنسان وطمست الصور الجمالية والقيم الفنية في الثقافة بعد أن قلّصت دور المثقفين وجعلتهم خاضعين للصناعة الثقافية.

إن خطر الثقافة الجماهيرية لم يكن ليتوقف عند هذا الحد، بل تسبب في خلق أزمات أخرى على مستوى بعض الفنون كالسينما، ففي الوقت الذي أصبحت فيه السينما وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرية مسّها انخفاض كميّ نواكب معه انحطاط نوعي، ولم تعد تُشكل حجر العقد في ثقافة الجماهير، فالبيت والتلفزيون والسيارة والرحلات باتت تؤلف تلك المجرة الثقافية الجديدة التي فقدت فيها السينما مكانتها الذهبية، ناهيك عن لا مبالاة الجمهور بلجوئه إلى الشاشة العريضة وتعميم الألوان وإطلاق العنان للجنس، وتقديم نجوم متميزين³⁹، وأمام هذا الوضع المتأزم للسينما كثر اقبال المتفرجين على متابعة البرامج المنحطّة التي تزول فيها الأخلاق، والمشاهد الخرافية التي تجعل المتفرج يتماهي مع أبطالها ونجومها ويخصّصهم بالتأثر الشديد والتقديس الأعشى في صورة تراجيدية تُبرز الحالة المرضية التي أصيبت بها الثقافة بصفة عامة والثقافة الجماهيرية بشكل خاص .

بعد ما تقدم يمكن الجزم باستحالة وجود تواصل بين الأقطاب الثلاث للثقافة، حيث تتميز العلاقة فيما بينهم بالصراع والاضطراب والاختزال، فهناك في البداية ثقافة إنسانية قائمة بذاتها لا تعترف بالعلوم، وهناك ثقافة علمية تتجاهل الأبعاد الروحية والجمالية للإنسان والطبيعة، وهناك ثقافة جماهيرية لوسائل الاعلام تسيطر على العالم وتبيد باقي الثقافات، وهذا ما تسبب في تشتيت البنية العامة للثقافة وجعلها أمام أزمة حقيقية تتطلب إعادة النظر في المبنى العام للثقافة وغاياتها.

4-بوادر الإصلاح الثقافي عند ادغار موران

لقد عوّدنا النموذج الموراني في تناوله لكل مسألة من المسائل على اقتراح جملة من الاصلاحات والحلول، بعد كشفه عن ثغراتها ومساوئها، ومما لا شك فيه أن ذلك لا يستثني المسألة الثقافية، حيث لم يكتفي موران بإبراز ثغرات الثقافة وتعثراتها فقط، بل إننا نجده يسعى بكل جهد إلى إصلاح بنيتها العامة وتقديم حلول لمشكلاتها، ويرى فيلسوفنا أن تجديد مقولة الثقافة وإصلاحها لا يتم دون إعادة النظر في علاقة الأشكال الثقافية ببعضها البعض، ولعل أول ما يقترحه ادغار موران في هذا الصدد، هو دعوته إلى الوصل والجمع بين الأشكال الثقافية المتنوعة على غرار الثقافة العلمية والثقافة الإنسانية أو الأدبية والثقافة الجماهيرية، ومن ثمة تحقيق الاندماج الثقافي والانفتاح بين جميع الأفكار، من أجل احياء الثقافة وتخليص الإنسان من أمراض النموذج الاختزالي الذي عزله عن أبعاده الروحي والأخلاقية، وهذا ما سنحاول معالجته تحت العنوان التالي:

1-4 ضرورة الوصل بين الأشكال الثقافية

لقد أدركنا من قبل بأن الحقل السوسولوجي كان شاهداً على انقسامات كثيرة للثقافة قادت إلى إعلان ثلاث أقسام، قسم خاص بالثقافة الإنسانية أو ما يعرف بالثقافة الأدبية، وقسم متعلق بالثقافة العلمية، وقسم مرتبط بالثقافة الجماهيرية، والعلاقة بين جميع هذه الأقسام قائمة على الفصل

والقطيعة، حيث تهتم الأولى بالبحث في الجوانب الروحية والمعنوية للإنسان كالأخلاق والدين والفلسفة والفن، وتختص الثانية بالبحث في الجوانب المادية والتقنية المحيطة بالإنسان كالعلوم الطبيعية والفيزيائية. في حين تشكل الثقافة الثالثة الاستثناء بفعل الكم الهائل من المعلومات والأفكار التي تثيرها فيها وسائل الإعلام وتجعلها في غنى عن باقي الثقافات، وأمام هذا الوضع المتشدد والمتأزم للثقافة، وانطلاقاً من دعوة ادغار موران إلى فكر مركب فإنه يقترح في البدء إقامة جسور للتواصل بين أنواع الثقافة ومفاهيمها المتنوعة رغم اختلافها، خصوصاً وأن الواقع يكشف لنا بأن الأفكار المحيطة بالإنسان والعالم الذي يعيش فيه لم تعد اليوم محصورة في مجال واحد من المجالات أو جانب من الجوانب، بل إننا نجدها مقسمة على جميع الأبعاد وهو ما يستلزم بالضرورة تبني فلسفة جديدة خاصة بالوصل والربط بين المعارف والثقافات حتى تتمكن من إدراك هذا العالم وفهمه فهماً شاملاً بتراكماته وتنوعاته، وبذلك ستكون استعادة هذا التواصل بين الثقافات أكبر خدمة نقدمها لهذا القرن المتأزم.

إن الأمل الذي يعقده ادغار موران في إعادة ربط الثقافات ببعضها البعض مرتبط بالدرجة الأولى بحركات تحويل ذاتي داخل كل ثقافة من الثقافات، وظهور هذه الحركات متوقف على مدى وعي كل ثقافة بالأزمة المحيطة بها، ووعي نقدي بقصورها ويقظتها بضرورة إعادة النظر في مبادئها التنظيمية⁴⁰، وقد كان السبق في انتشار هذا الوعي في البدء لدى الثقافتين الإنسانية والعلمية، حيث أشار رواد الثقافتين إلى حاجة كل منهما للآخر، وذلك يستلزم حتماً تفعيل آليات التواصل بينهما، وفي ذات السياق يؤكد ادغار موران بأن الثقافة الإنسانية قد بدأت "منذ عشرين سنة تنفتح أكثر فأكثر على الثقافة العلمية الممثلة في علم الكون والفيزياء الفلكية والدينامية الحرارية والبيولوجيا، مثل ما لوحظ على الثقافة العلمية انفتاحها على الثقافة الإنسانية رغم الآلة التقنية والبيروقراطية التي تغذيها وتسجنها ورغم ميزة التخصص التي تسيطر عليها، حيث أدخلت التحولات العميقة في العلوم الفيزيائية منذ بداية القرن مشاكل فلسفية كبرى وشجنت تفكير الباحثين والمنظرين الأكثر غزارة في الإنتاج، وهو ما تجلّى بوضوح في الثورتين النسبية والكوانتية عند أينشتاين وهايزنبرغ"⁴¹ وغيرهم من العلماء الذين امتزجت ثقافتهم العلمية الرصينة بالبعد الإنساني والفلسفي بالخصوص، وعلى هذا الأساس يجب دعم هذا الانفتاح الحاصل بين الثقافتين وتوسيعه على نطاق أكبر حتى نصل إلى المعنى الحقيقي والمتكامل للثقافة، ولعل ذلك ما أراد ادغار موران تأكيده حين قال بأن «الثقافة الحقيقية اليوم لا يمكن أن تأتي سوى من الاتصال بين الثقافة الأدبية، الفنية، الفلسفية من جهة، وبين الثقافة العلمية من جهة ثانية، فالعلم يحمل جرعات لا يمكن لأي فلسفة أن تحلم بها أو تتخيلها، لكنه ليس غنياً بهذه القدرة على التأمل التي تستطيعها الفلسفة والعلوم الإنسانية وحدهما»⁴² أي أن كلاهما يكمل الآخر ويتممه حسب قول ادغار موران، وإقصاء إحدى الثقافتين أو اختزالها في الأخرى يعني اخلائنا بالمعنى الصحيح والمتكامل للثقافة.

لم تكن دعوة ادغار موران للوصل بين الثقافتين العلمية والإنسانية دعوة فريدة، بل إننا نجد الكثير من الفلاسفة والكتاب ممن سار على ذات النحو، حيث قاد السجال الحاصل بين الثقافة الإنسانية والثقافة العلمية الكاتب الانجليزي تشارلس بيسي سنو إلى تخصيص كتاب حمل عنوان "الثقافتان" يهدف من خلاله إلى معالجة هذه الإشكالية خاصة "بعد أن لاحظ تشبع كل منهما بعلو كعبه على الآخر، والتزايد الكبير للفارق بين الأدباء ورجال العلم، أين يتبجح الأولون بجهلهم القانون الثاني للديناميكة، في حين يتبجح الآخرون بجهلهم شكسبير"⁴³ وهو ما دفعه إلى التفكير في التوصل إلى حلول تغنيانا عن هذا الجدل العقيم، وقد كانت البداية بتأكيد اللورد سنو على أهمية وضرورة كلا الثقافتين في حياة الإنسان وفي فهم العالم المحيط به، "في عصر الذرة والفضاء والآلات المتحركة ذاتياً وعصر الإلكتروني لا يمكن لأحد أن يجهد أو يتجاهل هذه الأمور، وبدون ثقافة علمية لا يستطيع أحد أن يفهم الثورة الصناعية أو يستوعب معنى الثورة العلمية الثانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تبقى الثقافة الإنسانية الممثلة في الآداب والفنون حسب اللورد سنو تحتفظ بقيمة لا تعوض من أجل تربية الفكر نظراً لتقديرهم الجمال والخلود اللذين يهملهما العلم في الغالب"⁴⁴، وهذا ما يفرض علينا التمسك بالثقافتين معاً.

بعد الإشادة بفضل الثقافة الإنسانية والثقافة العلمية في فهم الواقع بما يحمله من تغيرات وأهميتهما البالغة في ضبط سلوك الإنسان وهيكله النفس على طلب الفضائل، يذهب اللورد سنو إلى القول بأن "عزل أي ثقافة من الثقافات يجعل منها ثقافات ناقصة، أو بعبارة أخرى لهجات بالنسبة للغة الفكر، لذا فإن الأمر حسبه لا يعدو كونه نزاعاً خاطئاً، ذلك أن العلوم والآداب يجب أن يتعايشا ضمن ثقافة عصرية حقيقية حتى لو أحرزت الأولى بعض النقاط على الثانية، وهذا يستلزم المصالحة بين الطرفين"⁴⁵ وإنتاج ثقافة ثالثة تضمن التقارب والتعايش بينهما وهي التي تُعرف لدى البعض باسم الثقافة الجماهيرية أو ثقافة وسائل الإعلام.

إن وعي الثقافات بالانفتاح والتواصل فيما بينها لم يبق ثنائياً محصوراً في القطبيين الإنساني أو الأدبي والعلمي للثقافة، بل إن رياح التركيب بين الثقافات قد امتدت لتشمل أشكالاً ثقافية أخرى على غرار الثقافة الجماهيرية، حيث دعى البعض من رواد هذه الأخيرة إلى ضرورة التنازل عن مركزيتها والاندماج ضمن باقي الثقافات لحاجتنا الضرورية إلى معرفة الأفكار في شموليتها وتعقيدها، وهذا ما أراد ادغار موران تأكيده بالقول <<فهنالك إذن في كل مكان، في العلوم والتقنيات والإنسانيات ووسائل الإعلام حاجة إلى أفكار شاملة، وفي كل مكان تسود الأفكار العامة الجوفاء الطنانة والمدوية هنا (الإنسانيات) والمخبأة ولكنها دائمة الحضور هناك (العلوم) ومغربلة في مكان آخر بموجب قيمتها الاستهلاكية أو السلعية (وسائل الإعلام). إن مسألة التأمل تطرح نفسها في كل مكان>>⁴⁶ ومن هنا نفهم بأن تجزئ الثقافة وتقسيمها سوف يتسبب بشكل مباشر في تشتيت مقولة الثقافة، لذلك يقترح ادغار موران هذه الصيغة الجديدة لعلاقة الثقافات ببعضها البعض، والقائمة على التواصل بين جميع الأشكال الثقافية دون

اقصاء لطرف على حساب الآخر أو اختزال عنصر في بقية العناصر، وقد أشاد موران في هذا السياق "بفضل المثقفين لاسيما كُتاب الدراسات في خلق ثقافة هجينة بين الفلسفة والأدب، والصحافة، والعلم، حيث تمكّنوا رغم تحيز إعلامهم وسطحية تأملهم من صيانة مخزون للاتصال والتأمل، ومن تشكيل غذاء ثقافي للأفكار العامة المعطاءة والشاملة. وقد أصبحنا نشاهد انطلاقاً من ذلك رسائل خاصة بالمثقفين الذين يحاولون في الإنسانيات والعلوم ووسائل الإعلام أن لا يدعوا مجالاً للتخصص والإفراط فيه، وتقوم هذه الرسائل أساساً على ضرورة العودة لهذه المسائل واعتبارها مسائل أساسية"⁴⁷ وفعالة يتطلب البحث فيها التصديق المطلق لدى كل شكل من الأشكال الثقافية بضرورة وأهمية الاتصال بين الثقافات.

إن الاقرار بضرورة التواصل بين الثقافات لا يعني تبادل المعلومات أو الأفكار فقط، بل يعني بالإضافة إلى ذلك إعادة الاعتبار إلى الحق في التفكير والتأمل وضرورة هذا الأخير ودوره في كل مكان، خاصة وأنه المسؤول عن إعادة طرح الأفكار والأحداث من جديد وتغذية المعارف وفرض الانفتاح على الثقافات الخاصة التي ألفت الانغلاق على ذاتها أمام قناعتها المغرورة بامتلاكها عمومية العقل والحقيقة⁴⁸، وباختصار يمكن القول بأن الانتقال من منطلق الثقافات المعزولة أحادية الجانب إلى الثقافات الموصولة المتعددة الجوانب هو انتقال بالعلاقات الإنسانية ككل من دائرة التنافر والاضطراب إلى دائرة التعايش والتعارف والمشاركة التي تسمح للجميع بالمساهمة في إنتاج الثقافة.

لقد قاد تيّن ادغار موران بالحاجة الضرورية للتغيير في بنية الثقافة إلى اقتراح صنف جديد من المثقفين، لا هو بالمثقف الأدبي ولا هو بالمثقف الصحفي ولا هو بالمثقف العلمي، وإنما هو كل هذه الأنواع وقد اجتمعت في نموذج واحد يصطلح عليه ادغار موران اسم المثقف التجاوزي، وهو المثقف الذي يتعدى دوره الاعتراف بتعقيد الفكر والوصل بين الثقافات، ويعمل بالإضافة لذلك على "النضال باستمرار ضد نزوع المثقف إلى الازدراء والتنديد والحرمان، ويحذر من التضليل الايديولوجي العدائي، ويستوجب أيضاً النضال ضد التبسيط، كما لا يجعل من الثقافة مهنة أو سلكاً ويعتقد أن المثقف لا يكون مثقفاً حقيقياً إلا عندما يتمكن من الافلات من العالم المجرد والتكنوقراطي والايديولوجي ويحمل أخلاقيات الفكر محمل الجد"⁴⁹ وعلى هذا الأساس نقول بأن إصلاح الثقافة حسب المقترح الموراني يتم عبر تتبع جملة من المراحل والخطوات التي تُلزم الفكر بالتحديد بها، ولعل أولها نبذ ثقافة الفصل والاختزال التي قسّمت الأشكال الثقافية وشتت التفكير، ثم الاعتراف بضرورة الوصل بين الثقافات والعمل على أخلقة الفعل الثقافي.

5. الخاتمة:

يُفهم مما سبق بأن مقولة الثقافة مع ادغار موران قد أخذت أبعاد مغايرة تماماً لما قامت عليه من قبل من تصورات، ويتجلى ذلك في اقحام أسلوب التركيب ضمن البنية العامة للثقافة، حيث عرف البعد الماهوي للثقافة مع موران الانتقال من الضبط الأحادي الذي يحصر الثقافة في الجانب الذاتي للإنسان، إلى النسق التركيبي والمعقد الذي يُدرج فيه كافة الخصائص السوسولوجية والأنثروبولوجية والفلسفية والمادية، وقد قاده هذا التصور الجديد للثقافة إلى رفض كل أشكال الفصل والاختزال بين الأنواع الثقافية، الممثلة في ثقافة الجماهير والثقافة العلمية والثقافة الإنسانية، لما لها من تأثير كبير على تشتيت الثقافة ومن ثمة تشتيت العلاقات الإنسانية، بعد أن هيمن عليها أسلوب الفصل والاختزال، وأفقدتها جميع أبعادها الروحية والأخلاقية التضامنية، محدثاً بذلك فراغاً رهيباً على مستوى محيطه الاجتماعي، وأمام هذا الوضع المتأزم للثقافة يذهب فيلسوفنا إلى الاقرار بضرورة وضع نقاط وصل وترايط بين هذه الأنواع الثقافية، عن طريق استحداث حركة تحويل ذاتي داخل كل ثقافة من الثقافات، يتم العمل فيها على التحسيس ونشر الوعي بمدى أهمية الاندماج بين الثقافات، والاعتراف بمقابل ذلك بمخاطر أسلوب الفصل والاختزال على الثقافة والإنسان، بحكم أن هذا الأخير في حاجة دائمة إلى أفكار شاملة، تمثلها العلوم والتقنيات والإنسانيات أو الأدبيات ووسائل الاعلام والاتصال، وهذا يستلزم دون شك حضورها فيه في اطار تواصلية تكاملية، يهدف أساساً إلى اثراء النظرية الثقافية وتحقيق غايات الإنسان المنشودة داخل هذه الكينونة.

الهوامش:

- 1 حمد الجوهري، محمد الجوهري، الثقافات والحضارات اختلاف النشأة والمفهوم، البار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص17، 18 .
- 2 مجنون، تيري، فكرة الثقافة، ترجمة، شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص13.
- 3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
- 4 الداوي، عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات _ حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013، ص17 .
- 5 المرجع نفسه، ص17، 18.
- 6 الزين، محمد شوقي، الثقافة والحضارة.ثنائية ملتبسة، مجلة الإمارات الثقافية، مركز سلطان بن زايد، الإمارات، العدد79، 2019، ص62 .
- 7 موران، ادغار، روح الزمان، النخر، ترجمة، أطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، ج2، 1995، ص289.
- 8 المصدر نفسه، ص290 .
- 9 المصدر نفسه، ص289 .
- 10 الحويلي، زهير، تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، ضمن كتاب جماعي، الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحدافة إلى التشفير المزدوج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ج2، 2013، ص1412.
- 11 موران، ادغار، روح الزمان، النخر، المرجع السابق، ص289.

- ¹² المصدر نفسه، ص 290.
- ¹³ موران، ادغار، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة، هناء صبحي، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص45، 46.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص 193.
- ¹⁵ موران ادغار، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، المصدر السابق، ص196.
- ¹⁶ Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nation Unies pour l'éducation, la science et la culture, (UNESCO), 1999, p. 28.
- ¹⁷ Ibid, p. 29.
- ¹⁸ موران، ادغار، روح الزمان، النخر، المصدر السابق، ص 294 .
- ¹⁹ تودوروف، تزفيتان، الخوف من البرابرة، ترجمة، جان ماجد جبور، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، الامارات، ط1، 2009، ص 58 .
- ²⁰ موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ترجمة، بديعة بوليلة، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص 29 .
- ²¹ الخويلدي، زهير، معان فلسفية، المرجع السابق، ص 46 .
- ²² موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، المصدر السابق، ص 69.
- ²³ موران، ادغار، روح الزمان، النخر، المصدر السابق، ص 215 .
- ²⁴ أنظر في هذا الصدد: خليفة، داود، الإنسان المركب وتحقق الشرط الإنساني عند ادغار موران، مقاربات فلسفية، مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغمام، الجزائر، العدد 6، 2016، ص 138.
- ²⁵ Morin Edgar ; la voie ,pour l'avenir de l'humanité, librairie Arthème Fayard ,2011, p. 28.
- ²⁶ موران، ادغار، المنهج، الأفكار، مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، ترجمة، جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 2012، ص 102 .
- ²⁷ دوكونانك، توما، المجلد الجديد ومشكلة الثقافة، ترجمة، منصور القاضي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 147 .
- ²⁸ موران، ادغار، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، المصدر السابق، ص 103، 102.
- ²⁹ دوللو، لويس، الثقافة الفردية والثقافة الجماهيرية، ترجمة: خير الدين عبد الصمد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1993، ص 118، 119 .
- ³⁰ موران، ادغار، المنهج، الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، ترجمة: جمال شحيد، المصدر السابق، ص 103.
- ³¹ المصدر نفسه، ص 104.
- ³² إدموند هوسرل، إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترسندنتالية، ترجمة، إساعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 45.
- ³³ جورنه، نيكولا، بين الكوني والخصوصي البحث عن البدايات- طبيعة الثقافة- تشييد الهويات، ترجمة، إياس حسن، دار الفردق، دمشق، سورية، ط2، 2014، ص 353، 354.
- ³⁴ موران، ادغار، روح الزمان، العصاب، ترجمة، أنطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ج1، ط3، 1995، ص 12، 14.
- ³⁵ دوللو، لويس، الثقافة الفردية والثقافة الجماعية، ترجمة: خير الدين عبد الصمد، المرجع السابق، ص 108.
- ³⁶ المرجع نفسه: ص 138.
- ³⁷ موران، ادغار، روح الزمان، العصاب، مصدر سابق، ص 15.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص 16.
- ³⁹ موران، ادغار، نجوم السينما، ترجمة: إبراهيم العريس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 173
- ⁴⁰ موران، ادغار، المنهج الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، مصدر سابق، ص 108.

⁴¹ المصدر نفسه، ص 108، 109.

⁴² نقلاً عن رونييه، طوماس، ادغار موران رائد الفكر المركب: ترجمة، يحيى بواوي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد: 33، 34، 2015، ص 136 .

⁴³ دوللو، لويس، الثقافة الفردية والثقافة الجماهيرية، المرجع السابق، ص 128

⁴⁴ المرجع نفسه، ص 129.

⁴⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴⁶ موران، ادغار، مقدمات للخروج من القرن العشرين، المصدر السابق، ص 234.

⁴⁷ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴⁸ المصدر نفسه، ص 235 .

⁴⁹ المصدر نفسه، ص 239 .

أسماء الأعلام:

* تيري فرانسيس إيغلتن Terry Francis Eagleton: منظر أدبي وناقد ومثقف بريطاني وفيلسوف ذائع الصيت، ولد في 1943 بمدينة سالفورد البريطانية، يعمل حالياً (2017) أستاذاً متميزاً للأدب الإنجليزي في جامعة لانكستر البريطانية، عكف إيغلتن على البحث في حقل الدراسات الثقافية وسياسات الثقافة، وقد كان غزير الانتاج حيث نشر العديد من الكتب وترجم بعضها إلى اللغة العربية، منها كنيسة اليسار الجديد 1966، النقد والأيدولوجيا 1976، أيدولوجيا علم الجمال 1990، فكرة الثقافة 2000، الثقافة 2016 (إيجلتون، تيري، الثقافة، ترجمة: لطيفة التليحي، دار المدى، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص9، 11).

* ترفيتان تودوروف: مفكر بلغاري المنشأ، انتقل للعيش في باريس منذ عام 1963، عمل كمدبر للأبحاث في المركز الوطني للأبحاث العلمية، كان ناقداً ومؤرخاً وفيلسوفاً، نشرت له مؤلفات عديدة، وترجمت إلى خمس وعشرين لغة، تم تتويجه رسولاً للأدب الإنساني عام 2000م (تودوروف، ترفيتان، الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين، ترجمة: نرمين عبد الله العمري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006، ص456).

* كارل ماركس (1818- 1883): فيلسوف ألماني مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة المادية الجدلية، والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي، وزعيم ومعلم البروليتاريا العالمية، ترك الاتجاه اليساري في فلسفة هيغل أثره على تطور ماركس الروحي، حيث تمسك ماركس بالأفكار الديمقراطية الثورية واتخذ موقفاً يسارياً متطرفاً بين الهيجليين الشباب، كما اشترك بدور فعال في النضال التحرري للبروليتاريا وكان في مقدمة النضال السياسي وساهم بشكل كبير في تطوير نظرية الثورة الاشتراكية وصراع الطبقات، يُمثل كتاب ((رأس المال)) مؤلفه الرئيسي الذي نشره في ثلاث مجلدات بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والمؤلفات الأخرى (روزنتال وآخرون، الموسوعة الفلسفية، ترجمة، سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د س، ص440، 438).

* تشارلس بيسي سنو: هو كاتب انجليزي وروائي وفيزيائي، اضافة إلى كونه عضواً في مجلس اللوردات البريطاني ورمزاً لتعددية الثقافات، كان قد وضع بين عامي 1956 و 1959 كتابين له بعنوان "الثقافتان" و "الثقافتان والثورة الصناعية". وخصها بنقاش واسع يعطيه التقدم العلمي الهائل حدة خاصة في أيامنا الحاضرة (دوللو، لويس، الثقافة الفردية والثقافة الجماهيرية، ص128).

قائمة المصادر والمراجع:

1- الداوي، عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات _ حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط 1، 2013 .

2- الخويلدي، زهير، تعقد الطبيعة البشرية عند ادغار موران، ضمن كتاب جماعي، الفلسفة الغربية المعاصرة صناعة العقل الغربي من مركزية الحدائة إلى التشفير المزدوج، منشورات الاختلاف، الجزائر، ج2، 2013 .

3- الزين، محمد شوقي، الثقافة والحضارة..ثنائية ملتبسة، مجلة الإمارات الثقافية، مركز سلطان بن زايد، الإمارات، العدد79، 2019 .

4- إدموند، هوسرل، إدموند، أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا الترنسندنتالية، ترجمة، إساعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008 .

5- إيجلتون، تيري، الثقافة، ترجمة: لطيفة التليحي، دار المدى، بيروت، لبنان، ط1، 2018 .

- 6- ايجلتون، تيري، فكرة الثقافة، ترجمة، شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012 .
- 7- جورنه، نيكولا، بين الكوفي والخصوصي البحث عن البدايات- طبعة الثقافة- تشييد الهويات، ترجمة، إياس حسن، دار الفردق، دمشق، سورية، ط2، 2014 .
- 8- دوكونانك، توما، الجهل الجديد ومشكلة الثقافة، ترجمة، منصور القاضي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004 .
- 9- دوللو، لويس، الثقافة الفردية والثقافة الجماهيرية، ترجمة: خير الدين عبد الصمد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1993 .
- 10- تودوروف، تزفيتان، الخوف من البرابرة، ترجمة، جان ماجد جبور، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، الامارات، ط1، 2009 .
- 11- تودوروف، تزفيتان، الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين، ترجمة: زمين عبد الله العمري، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2006 .
- 12- حمد الجوهري، محمد الجوهري، الثقافات والحضارات اختلاف النشأة والمفهوم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2008 .
- 13- موران، ادغار، المنهج، الأفكار، مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها، ترجمة، جلال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 2012 .
- 14- موران، ادغار، النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، ترجمة، هناء صبحي، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009 .
- 15- موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ترجمة، بديدة بوليلة، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط1، 2018 .
- 16- موران، ادغار، مقدمات للخروج من القرن العشرين، ترجمة، أنطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1993 .
- 17- موران، ادغار، روح الزمان، العصاب، ترجمة، أنطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ج1، ط3، 1995 .
- 18- موران، ادغار، نجوم السينما، ترجمة: إبراهيم العريس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012 .
- 19- رونييه، طوماس، ادغار موران رائد الفكر المركب: ترجمة، يحيى بواقي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، لبنان، العدد: 33، 34، 2015 .
- 20- روزنتال وآخرون، الموسوعة الفلسفية، ترجمة، سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د س .
- 21- خليفة، داود، الإنسان المركب وتحقق الشرط الإنساني عند ادغار موران، مقاربات فلسفية، مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، العدد 6.

-22Edgar Morin, Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du futur, Organisation des Nation Unies pour l'éducation, la science et la culture, (UNESCO), 1999.

-23Edgar Morin ; la voie .pour l'avenir de l'humanité, librairie Arthème Fayard ,2011.